مقياس : عمارة رومانية و بيزنطية

سنة الثالثة ليسانس

أستاذ المادة : حكيم حميدة

مح رقم :01

- شمال إفريقيا و نهاية الإمبراطورية الرومانية

قبل وفاة الإمبراطور تيودوسيوس (395-397) ، قام بتقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين، شرقي و غربي.

القسم الغربي : وضعه تحت حكم ابنه هونوريوس وهو لا يتعدى الحادية عشرة من عمره، وكان يساعده في الحكم القائد ستيليكون (من أصل وندالي)، كانت عاصمته روما، التي سرعان ما وقعت في مواجهات، لتسقط نهائيا على يد الهيرول الذين أطاحوا بالأمبراطور روميلوس أوغوستيل سنة 476. فلم يبق حينئذ من الكيان الروماني سوى المنطقة الشرقية وعاصمتها القسطنطينية التي أخذت على عاتقها استمرارية وديمومة الحضارة الرومانية.

القسم الشرقي : وضعه الإمبراطور تيودوسيوس تحت حكم ابنه آركاديوس الذي كان حينها في السابعة عشرة من عمره ساعده في مهامه المستشار روفين, أصبحت مدينة القسطنطينية، التي شيدها الإمبراطور قسطنطينوس (313-337)، عاصمة القسم الشرقي، و هي في الأصل مدينة أقيمت أسسها على أنقاض مستعمرة يونانية قديمة كانت تسمى ببيزنطة.

هذه الأزمات السياسية القائمة في أعلى هرم الدولة والتي انبثقت من الصراع على السلطة والحروب الناجمة منه من جهة، وكذا الوضع الاجتماعي وخاصة الديني من جهة أخرى أثرت على أوضاع شمال إفريقيا و أدت إلى اضطرابات لم تخل من الأهمية صنعها أهالي هذه المنطقة ، فالأولى كانت تنحصر في الأمور الدينية، والثانية انصبت على الحركات التحريرية الصادرة من الأهالي.

الاضطرابات الدينية :

اشتمل الجانب الديني على الصراع الطائفي بين الكاتوليك والدوناتيين، وكان الإشكال حينها قائما في مدينة قرطاجة حول شرعية انتخاب كايكيليانوس أسقفا لقرطاجة عام 311، إذ لم يتحصل يومها على الإجماع بكل الأصوات، بحجة من منافسيه أنه فرق بعنف المتظاهرين الذين أتوا لزيارة سجن الشهداء و أنه قطع المِؤونة على المرشدين المسجونين .

يرى بعض الباحثين أن جوهر القضية لم يقصر على ذكر بل أعمق من ذلك، فحسب دوناتوس فإن موقف أساقفة قرطاجة تراجع عن مبادئ القيم المسيحية.

أحدثت هذه الأزمة الدينية فوضى في الأوساط الشعبية، فتصارع و تقاتل أنصار الحزبين.

و قد تقاسمت الفئتين نفس المحيط في إطار عمراني محدد، فنجد في بعض المدن حي كاتوليكي وحي دوناتي.

العمارة الدينية الخاصة بتلك الفئتين كانت متشابهة من حيث التخطيط والإبداع في التقنيات، كما احتوت الشعائر والممارسات الدينية على نفس المضامين. فالواقع يختلف في المثول لدى عامة الناس، بحيث نجد نسبة كبيرة من الدوناتيين متمركزة في منطقة نوميديا،

وكانت مدينتي بغاي وتيمقاد من أهم المراكز المكونة للمجتمع الدوناتي، و لم تقتصر على المدن بل اجتاحت القرى والأرياف.أضف إلى ذلك أن الحركة الدوناتية كانت رمزا للمقاومة الإفريقية على السلطة الرومانية، فكان معظم مؤيدي الحركة من أصل إفريقي.

انحاز الإمبراطور لفئة الكاتوليكيين، كونهم من مؤدي السياسة الرومانية بدءا من مؤتمر آرل في أوت 314 الذي اعتبر الحركة الدوناتية غير شرعية، إلى المحاكمة النهائية عام 411 بقرطاجة، التي حيث حضرها 565 أسقفا ممثلون لسلطة رجال الدين، 286 منهم من أساقفة الكاتوليك و 279 أسقفا دوناتيا، هذه المحاكمة عرفت مواجهة بين الطرفين التي دامت ثمانية أيام وأقرت في النهاية أن الحركة الدوناتية على خطأ و تمثل دينا غير معترف به من طرف السلطة الدينية الكاتوليكية و لا من طرف السلطة السياسية.

كانت الضربة القاضية للدوناتيين من قبل معاديهم و على رأسهم القديس أوغسطينوس الأسقف المشهور لعنابة وكان ذلك عام 412.

لم تمح هذه القرارات التعسفية من الوجود الحركة الدوناتية، بل استمرت في المجتمع الإفريقي، فهي بمثابة معارضة بكل خصوصياتها، فأرادت أن تظهر للكيان الروماني حرية معتقداتها. و قد استمد هذا الدين أفكاره من الأدب الدوناتي الذي امتاز بالفصاحة والمعنى الواضح مما ساعد في ترسيخ أفكاره في أدهان الأفارقة.

<u>الاضطرابات الاجتماعية :</u>

تميزت الاضطرابات الاجتماعية بثورة "الدوارون"Circoncellion خلال القرن الرابع الميلادي والتي شنها سكان الأرياف والفلاّحين خاصة القاطنين بإقليم نوميديا. ولعل السبب المباشر

لهذه الثورة راجع إلى شدة الفقر والحرمان الذي تعاني منه هذه الفئة، مقارنة بالطبقة الأرستقراطية، حيث احتفظ أعضاء الدوارون بموروثهم الثقافي المحلي و تمركزوا في الأرياف كما أن نداء الرومنة لم يجد إليهم سبيل ، وأحسن دليل على ذلك هو تمسكهم باللغة البونيقية أو الليبية. و قد طالبت تلك الفئة المحرومة بالمساواة والعدالة الاجتماعية، إذ تعتبر اليد العاملة التي تحرك الجهاز الاقتصادي.

هذه الوضعية المتوترة أنتجت فئتان متصارعتان الفئة الأولى ممثلة في طبقة الأثرياء وانظم إليهم أصحاب الكنيسة الكاتوليكية لاشتراك المصالح فيما بينهم. أما الفئة الثانية فتمثلت في الدوارين و انظم إليهم الدوناتيون حيث تربطهم إيديولوجية تؤمن بالمعاني الإنسانية والعدالة الإجتماعية . فشهدت شمال إفريقيا خلال القرن الثالث و الرابع صراعات و معارك بين الأهالي و الرومان، و لعل أشهرها هي ثورة فيرموس الذي لقي السند من فئة الدوارين ورجال الكنيسة الدوناتية، حيث اجتاحت تلك الثورة (372 – 375) مقاطعة موريطانيا القيصرية، فأصبح رمزا للمقاومة المورية والمحرر للقيود والآخذ بالثأر للدوناتيين والدوارين.